

الفتاوى السياسية وأثرها على قرارات وممارسات

السلطة في العصر المملوكي الثاني

٧٨٤-٩٢٣هـ-١٣٨٢-١٥١٧م



د. الياس أحمد كريم - جامعة كركوك - كلية الآداب

قسم التاريخ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ملخص البحث

تعرضت الدولة في العصر المملوكي الثاني (٧٨٤-٩٢٣ هـ / ١٣٨٢-١٥١٧ م)، الى أخطار خارجية عديدة، كما انشغلت بفتن واضطرابات داخلية مريعة، وكانت السلطة السياسية بحاجة دائمة الى دعماء يستند اليها في قراراتها وممارساتها ازاء تلك الأحداث، وقد وجد الأمراء والسلاطين هذه الدعامة من العلماء ورجال الدين، فحرصوا على التقرب منهم واستمالتهم واسترضائهم، وهم يدركون جيدا نفوذهم وتأثيرهم المباشر على الناس، فأرادوا أن يكونوا سنداً لهم في اتخاذ قراراتهم، واتخذوا نظرية تسييس فتاوى العلماء والفقهاء خدمة لمصالحهم، وذلك لإضفاء الصفة الشرعية على القرارات والممارسات، ليظهروا أمام الناس بأن اجراءاتهم تستند على أساس شرعي، وقد تركز هذا البحث على دراسة تلك الفتاوى التي وظفت وكيفت لخدمة الامور السياسية.

Summary

The state in the second Mamluk period (784-923H\1382-1517A.C) was face several of foreign dangers, as well as it was busy with hard interior rebels and confusion ,so the politician authority was need for support to depend on to take the decisions and decree the instructions to treat with that events. The sultans and princes had found this support from Ulama and clergymen ,so they adherenced to be close of them in order to attraction and try to please them, because they know well their power and direct influencing on people , so they want them to be as cooperators' to execute their decisions, meanwhile ,they got a theory of politeness the Ulama and legists' fatwa to serve their advantages in order to cover their decisions and behaves with legality in front people to show for the people that these decrees were built upon legality .the research focus on study those fatwas which had appointed and adjusted to serve the political issues.

المقدمة

كان سلاطين المماليك الجراكسة^(١)، في العصر المملوكي الثاني (٧٨٤-٩٢٣هـ/١٣٨٢-١٥١٧م)، حريصون دائما على الظهور بمظهر الحامي والمدافع عن الأمة الإسلامية، واعتبروا أنفسهم حاملين للواء الجهاد في سبيل الله، لذلك كانوا حريصون على استمالة واسترضاء العلماء والفقهاء بسبب نفوذهم ومكانتهم ومدى تأثيرهم على الرأي العام، إذ أدركوا جيدا دورهم الواضح بالدفع المعنوي للناس من خلال دعواتهم لمساندة السلطة بالنفس والمال، فأرادوا أن يكونوا سنداً لهم في اتخاذ قراراتهم السياسية، وحاولوا أن يصبغوا تلك القرارات والممارسات بالصبغة الدينية، ليظهروا أمام الناس بأن تلك القرارات يستند الى أساس شرعي، وذلك من خلال الفتاوى التي كان يصدرها العلماء والفقهاء في مواضيع مختلفة^(٢).

والفتوى، أو الافتاء، هي ما أفتى به الفقيه في المشكل من الأحكام الشرعية^(٣)، والمفتي هو من يتصدى للفتوى بين الناس، أي أبان الحكم فيها^(٤)، أما الفتاوى السياسية فهي الزام العلماء والفقهاء بتوظيف أحكام الدين في خدمة الامور ذات الطابع السياسي، اما بإكراههم على اصدار هذه الفتاوى، أو طمعا في تحقيق مكاسب مادية أو معنوية، أي ربط وتوظيف أحكام الفقه الديني مع مجريات الاحداث السياسية، وذلك لإضفاء الطابع الديني على ما يصدر من قرارات وممارسات ذات الطابع السياسي^(٥).

فالعلماء والفقهاء لعبوا دورا متميزا في توجيه سياسة الدولة من خلال فتاواهم الشرعية، وكانت أغلب ممارسات وقرارات السلطة التي تريد التصديق عليها من خلال تلك الفتاوى تنحصر في جمع الأموال من الرعية، ومصادرة أملاك الأوقاف، وأموال الأيتام، بحجة النفقة على الجيش، وحسم الصراعات والفتن الداخلية التي تحدث بين الامراء، فضلا عن استقطاب الرأي العام تجاه هذا الأمير أو ذاك لتولي منصب السلطنة^(٦).

وفيما يتعلق بموقف العلماء ورجال الدين من تلك الفتاوى، فقد أثبت بعضهم جدارتهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأبدوا معارضتهم للسلطة في بعض الأمور

التي أوجبت المعارضة، وسجلوا بذلك مواقف مشرفة على نصرة الحق، ولم يثنهم في ذلك سياسة التهديد والتوعيد الذي اتبعها السلطة بعزلهم وعقابهم^(٧)، ولكن في المقابل برز بعض العلماء ممن أظهروا صورة مضادة لتلك المواقف المشرفة، تمثلت في تملق بعضهم للوصول الى المال أو الوظيفة وتحقيق ما يصبوا اليهم نفوسهم، وجاءوا بمبررات شرعية لقرارات السلطة وممارساته حفاظا على امتيازاتهم ومصالحهم الخاصة^(٨).

لقد حكم المماليك مصر بوصفهم طبقة عسكرية عليهم مسؤولية الدفاع عن الإسلام والمسلمين، واهتموا بتربية جنودهم تربية عسكرية، وهذا الأمر يحتاج الى المزيد من الأموال والنفقات، وبرزت الحاجة أكثر أثناء الحروب والخروج للغزوات، ولكن أغلب الأوقات لم تستطع خزانة الدولة الايفاء بهذه التكاليف الباهظة، مما دفع بالسلطين أحيانا الى البحث عن البديل للنفقة على الجند وإعداد الجيش، كالنظر في أموال الناس والتجار وغيرها من المصادر، وفي تلك الأوقات كانت موافقة أهل الشرع ضرورية لتبرير ذلك من خلال الفتاوى التي كانوا يصدرونها، وذلك لإسباغ الشرعية على تصرفات وقرارات السلطة بهذه الخصوص^(٩).

وتسعفنا المصادر التاريخية بروايات عديدة حول التماس سلطين المماليك الجراكسة من العلماء بإصدار فتاوى شرعية تجيز لهم أخذ أموال الناس للنفقة على الجنود، ففي سنة (٧٨٩هـ/١٣٨٧م)، وصل الأخبار باقتراب جيوش تيمور لنك^(١٠)، من بلاد الشام، وذلك بعد استيلائه على مدينة الرها، فعقد السلطان الظاهر برقوق (٧٨٤-٨٠١هـ/١٣٨٢-١٣٩٩م)، مجلسا للتشاور في القصر الكبير بقلعة الجبل^(١١)، واستدعى الى هذا المجلس الخليفة العباسي المتوكل على الله (٧٦٣-٨٠٥هـ/١٣٦١-١٤٠٢م)، والقضاة الأربعة، وشيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقيني^(١٢)، ومجموعة من المشايخ المفتين، وأخبرهم السلطان بحاجته الى أموال الأوقاف وذلك للاستعانة بها في قتال تيمورلنك وجيشه الجرار، مؤكدا لهم خلو بيت المال من الأموال، فرفض شيخ الاسلام البلقيني طلب السلطان في الافتاء بذلك، ومعه القضاة الأربعة^(١٣)، وبعدها ألح عليهم السلطان الظاهر برقوق مؤكدا

خطورة الموقف، وعدم قدرة الجيش على دفع هذا الخطر، أجابه بعض العلماء وبضمنهم الشيخ البلقيني بفتوى وافقوا على منحه اجرة سنة واحدة من أوقاف المدارس والجوامع، بالإضافة الى خراج الأراضي، وعندما بدأوا بجمع هذه الأموال وردت الأخبار الى القاهرة بانسحاب تيمور لنك وجيشه الى موطنهم، فأمر السلطان برقوق بإعادة هذه الأموال الى أصحابها^(١٤).

كذلك عندما هاجم الأمير قرا يوسف التركماني^(١٥)، حدود بلاد الشام حتى وصلت قواته مشارف مدينة حلب وذلك سنة (٨٢١هـ/١٤١٨م)، لم يكن أمام السلطان المؤيد شيخ الحمودي (٨١٥-٨٢٤هـ/١٤١٢-١٤٢١م)، إلا أن يستنجد بالعلماء والقضاة لكي يساندوه، وذلك بإصدارهم فتوى تجيز له قتال قرا يوسف وجيشه، فأجاز له العلماء والخليفة العباسي قتاله من خلال كتابة فتوى كتب من قبل شيخ الاسلام سراج الدين البلقيني، ثم وقع عليه الخليفة والقضاة الأربعة تتضمن جواز قتاله^(١٦).

وقد حاول بعض العلماء كسب ود السلاطين عن طريق الافتاء للحصول على مكاسب معينة، فاستطاع بعضهم الوصول الى مراده من خلال فتواه، فعندما تكرر طلب السلطان الظاهر برقوق من العلماء والقضاة بتوفير الأموال اللازمة لمحاربة جيوش تيمور لنك سنة (٧٩٦هـ/١٣٩٤م)، وذلك بإصدارهم فتوى تجيز له أخذ أموال الأيتام، امتنع القاضي الشافعي صدر الدين المناوي^(١٧)، قاضي قضاة الشافعية، عن اصدار هذه الفتوى وإقراضه أموال الأيتام، فاستغل القاضي أبو البقاء السبكي^(١٨)، هذه الفرصة واقترح على السلطان منحه هذه الفتوى اذا عينه قاضي قضاة الشافعية مكان القاضي المناوي، فتم له ذلك وعينه مكانه^(١٩).

وقد يختلف العلماء والفقهاء أحيانا في مواقفهم حول طلب السلطان لإصدار مثل هذه الفتاوى، فيجدون في النهاية حلا وسطا لإرضاء جميع الأطراف، وقد حدث هذا الموقف على سبيل المثال سنة (٨٩٦هـ/١٤٩٠م)، عندما أقام السلطان الأشرف قايتباي مجلسا للتشاور في أمر تهديد ابن عثمان لبلاد الشام، وقره من حلب، فأراد السلطان أخذ

فتوى العلماء بفرض أجرة سنة كاملة على الأملاك بهدف النفقة على الجند لمواجهة هذا التهديد، فامتنع القاضي زين الدين زكريا الشافعي^(٢٠)، على إصدار مثل هذه الفتوى^(٢١)، أما القاضي عبد الغني بن تقي المالكي^(٢٢)، فقد وجد حلا وسطا ترضى بها جميع الأطراف، واقترح على السلطان منحه أجرة خمسة أشهر فقط، وكان السلطان قد أخذ أجرة شهرين قبل ذلك، فأصبحت سبعة أشهر^(٢٣)، وقد لقيت هذه الفتوى معارضة شديدة بين العوام حتى نظم فيها أحد الشعراء بيتا قال فيها:

غرمت شهرين عن أجرة مكاني أمس وأصبحت مغموز في بحر المغارم غمس
أقسم ورب الخلايق والقمر والشمس ما طقت شهرين كيف أقدر أطيع
الخمس^(٢٤)

ولكن في المقابل نرى أن بعض العلماء والفقهاء كانت لهم مواقف حازمة تجاه سياسة وأهواء السلطة، فامتنعوا عن إصدار فتاوى تجيز من خلالها أخذ أموال الرعية، فهم أدركوا ان هذه السياسة لا يمكن تفسيرها في ضوء نفقات الحرب فحسب، بل الى طبيعة حياة السلاطين وما يرافقها من الترف والبذخ وحاجتهم الدائمة الى الأموال، وقد عد أحد الباحثين هذا الموقف من العلماء نوع من الثورة السلمية الجريئة تجاه السلطة^(٢٥).

وتطالعنا المصادر المتوفرة بالعديد من الروايات المتصلة بتلك المواقف المشرفة من قبل العلماء، ففي سنة (٨٠٣هـ/١٤٠٠م)، اجتمع السلطان الناصر فرج بن برقوق (٨٠١-٨١٥هـ/١٣٩٩-١٤١٢م)، بالخليفة المتوكل على الله والقضاة الأربعة، ومجموعة من العلماء، وأخبرهم بوصول جيش تيمور لنك الى مشارف مرعش^(٢٦)، وعينت^(٢٧)، بعد استيلائهم على سيواس^(٢٨)، طالبا منهم إصدار فتوى بإعانة التجار والأغنياء بأموالهم في تجهيز الجيش لملاقاة تيمور لنك، مؤكدا لهم عدم وجود الأموال الكافية لتجهيز القوات، فرفض قاضي القضاة جمال الدين الملطي^(٢٩)، إصدار فتوى بذلك، ومعه القضاة الآخرون، قائلا: " انتم اصحاب الامر والنهي وليس لكم فيه معارض، وان كان القصد الفتوى في ذلك فلا يجوز أخذ مال أحد يخاف على العساكر من الدعاء " ^(٣٠)، وعندما اقترح السلطان بأخذ نصف

أموال الأوقاف لصرفها على الجنود البطالين رد عليه القاضي الملطي قائلاً: "ومتى اعتمد في الحرب على البطالين من الاجناد خيف أن يأخذوا المال ويميلون عند اللقاء مع من غلب"^(٣١).

كذلك تصدى العلماء وبشدة لطلب السلطان الأشرف سيف الدين برسباي (٨٢٥-٨٤١هـ/١٤٢٢-١٤٣٨م)، بإصدار فتوى تجيز له أخذ أموال الناس لكي يستعين بها في اعداد الجيش لمواجهة خطر شاه رخ بن تيمور لنك^(٣٢)، وذلك عند اقترابه من بلاد الشام سنة (٨٣٩هـ/١٤٣٥م)^(٣٣)، وقالوا: "كيف نفتيه بأخذ أموال المسلمين وكان لبس زوجته يوم ظهور ولدها ما قيمة ثلاثون ألف دينار"^(٣٤)، فتراجع السلطان عن طلبه، واكتفى بمن لديه القدرة على المساعدة من الأغنياء فقط^(٣٥).

وكان التعرض لأموال الأوقاف من أكثر المسائل التي أوجبت معارضة العلماء للسلطة، ففي سنة (٨٧٢هـ/١٤٦٧م)، أقام السلطان الأشرف قايتباي مجلساً بالقلعة حضره الخليفة العباسي المستنجد بالله (٨٥٩-٨٨٤هـ/١٤٥٤-١٤٧٩م)، وقضاة المذاهب الأربعة، وعدد من العلماء والمشايخ، وكان الهدف من انعقاد المجلس هو حصول السلطان على فتوى بأخذ الزيادة من أموال الأوقاف، بغية صرفه على اعداد الجيش لمواجهة خطر شاه سوار بن دلغادر^(٣٦)، على بلاد الشام، ورغم موافقة الخليفة والقضاة وجميع الحاضرين في المجلس على طلب السلطان، اعترض شيخ الاسلام أمين الدين الأقصري^(٣٧)، على اصدار فتوى بذلك، وأنكره غاية الانكار، وقال: "لا يحل للسلطان أخذ أموال الناس إلا بوجه شرعي، وإذا نفذ جميع ما في بيت المال ينظر الى ما في أيدي الأمراء والجند وحلى النساء، فيأخذ منه ما يحتاج إليه، وإذا لم يوف بالحاجة ففي ذلك ينظر في المهم....."^(٣٨).

كذلك عندما طلب السلطان الأشرف قايتباي سنة (٨٩٤هـ/١٣٩١م)، أجرة الأوقاف لإنفاقه على الجند من أجل صد تحركات الفرنج، ورغم كل ما بذله لإقناع القضاة والعلماء بذلك فقد امتنعوا على الافتاء بذلك، ولما شعر السلطان بصعوبة موقفه قال لهم: "

اختاروا لكم من تسلطونه غيري.....اشهدوا على أي قد خلعت نفسي من السلطنة"، فمنعه القضاة من ذلك^(٣٩).

وكان للعلماء والفقهاء دورهم أيضا في الدفع المعنوي للرعية لصد الأخطار الخارجية من خلال فتاواهم السياسية، فكان دعوتهم لمساندة ومناصرة السلطة وحث الناس على بذل النفس والمال دور كبير في تقوية عزائم الناس^(٤٠)، فعندما تعرضت بلاد الشام لخطر تيمور لنك سنة (٨٠٣هـ/١٤٠٠م)، طاف العلماء والفقهاء الشوارع وحثوا الناس على الجهاد قائلين "الجهاد في سبيل الله تعالى لعدوكم الأكبر تيمور لنك، فإنه أخذ البلاد ووصل الى حلب وقتل الأطفال على صدور الأمهات، وأخرب الدور والجوامع والمساجد، وجعلها اسطبلات للدواب، وأنه قاصدكم، يضرب بلادكم ويقتل رجالكم وأطفالكم، ويسبي حريمكم"^(٤١).

كذلك عندما هاجم الأمير قرا يوسف التركماني بلاد الشام سنة (٨٢١هـ/١٤١٨م)، نزل العلماء شوارع القاهرة وقرأوا فتاواهم على الناس بضرورة قتال قرا يوسف، ومما جاء في الفتوى "أن قرا يوسف طرق البلاد الشامية وأنه يستحل الدماء والفروج والأموال ويخرب الديار فالجهاد جهاد، ولا أحد يتأخر عن المساعدة بنفسه وماله"^(٤٢)، ثم أمر السلطان بنسخ مضمون الفتوى وأرسله الى الشام وأمر بأن يقرأ الفتوى على الناس في جميع بلاد الشام^(٤٣).

ثانيا: الفتاوى الخاصة بالصراعات والفتن الداخلية

كان الصراعات والفتن الداخلية إحدى السمات الأساسية في العصر المملوكي الثاني، وهذه الصراعات والفتن قد أثرت سلبا وإيجابا على علماء وفقهاء ذلك العصر، فكان الامراء الخارجين عن السلطة من جانب والسلطان الشرعي من جانب آخر، يبحثون دائما عن سند شرعي يعاونه للتغلب على خصمه، ومن هنا جاءت أهمية الفتوى ليمنحه حق المواجهة^(٤٤).

وكان السلطان يحاول جاهدا الاستفادة من فتاوى العلماء في صراعه مع الخارجين عن سلطته، فعندما خرج الأمير يلبغا الناصري^(٤٥)، نائب حلب في ثورته ضد السلطان الظاهر برقوق سنة (٧٩١هـ/١٣٨٩م)، لجأ الأخير الى الاستعانة بالعلماء ورجال الدين وحثهم على

اصدار فتوى بشرعية قتال الخارجين وعلى رأسهم الأمير يلبغا الناصري، واستدعى شيخ الاسلام سراج الدين عمر البلقيني، والقضاة الأربعة، ومعهم الخليفة العباسي المتوكل على الله، وشاورهم في هذا الأمر^(٤٦)، فمنحوا السلطان فتوى بجواز مقاتلة الخارجين عن السلطة، مؤكدين فيها الحق الشرعي للسلطان برقوق في قتال الخارجين عن حكمه، ونادوا في الناس للوقوف بجانب سلطانهم الشرعي، وأكدوا في فتواهم " أن السلطان قد أزال المظالم، وهو يأمر الناس بتقوى الله، ولزوم الطاعة، وأنا قد سألنا العدو الباغي في الصلح، فأبى وقد قوى أمره، فاحتفظوا دوركم وامتعتمكم، وأقيموا الدروب على الحارات والسكك، وقاتلوا عن أنفسكم وحرمةكم " ^(٤٧).

ورغم حصول السلطان برقوق على هذه الفتوى، إلا أن موقف العلماء قد تغير وما لبثوا أن نقضوا فتواهم، وذلك بعد نجاح الأمير يلبغا الناصري في ثورته واستيلائه على مصر، وذلك بعد انضمام الأمير منطاش^(٤٨) نائب ملطية الى جانبه، فقد تم عزل برقوق من السلطنة ونفي الى الكرك^(٤٩)، وسكن فيها^(٥٠)، ومن هناك قاد السلطان المخلوع ثورة والتف حوله اهل الكرك وحقق انتصارات كبيرة في بلاد الشام، مما أدت الى مخاوف الأميران يلبغا و منطاش، ولجئا الى الاستعانة بالعلماء ورجال الدين ليضمننا مساندتهم من خلال فتوى بأحقيتهم في قتال برقوق، فصدر منهم فتوى شرعية بذلك^(٥١)، وكان الفتوى على شكل سؤال تتضمن " ما تقول السادة العلماء في رجل خلع الخليفة، وسجنه، من غير ذنب ما، يوجب ذلك، وقتل رجلا شريفا في الشهر الحرام في البلد الحرام، وأستحل أخذ أموال الناس بغير حق، واستعان بالكفار على قتال المسلمين " ^(٥٢)، وأضاف شيخ الاسلام سراج الدين عمر البلقيني الى الفتوى قوله: " إذا قامت عليه البينة بذلك فهو خارجي، ويجب قتاله ومحاربه "، ثم وقع جميع الحاضرين من العلماء والمشايخ والقضاة على الفتوى^(٥٣).

كذلك عندما ساءت العلاقة بين السلطان الناصر فرج بن برقوق والأمير شيخ الحمودي في سنة (٨١١هـ/ ١٤٠٨م)، حاول الطرفان الاستعانة بالعلماء والفقهاء لبيان مشروعية موقفهم، تجاه الآخر، فما أن علم الأمير شيخ بخروج عساكر السلطان من مصر

متوجها الى الشام لقتاله، حتى قام بجمع العلماء والفقهاء وطلب منهم منحه فتوى بشرعية خروجه على السلطان، فتم له ذلك، فقد أفتاه القاضي شهاب الدين أحمد الحسباني^(٥٤)، والقاضي شمس الدين محمد التباني^(٥٥)، بجواز ذلك^(٥٦).

ويلاحظ أن كثيرا من العلماء لم يلتزموا بأصول الفتوى، إذ سعوا الى ابتغاء مرضاة السلاطين وإن كانت فتاواهم غير شرعية، ومن الأمثلة على ذلك النوع من الفتاوى ما حدث سنة (٨١٧هـ/١٤١٤م)، فرغم منح السلطان المؤيد شيخ الأمان للأمير نوروز^(٥٧) نائب الشام، عند خروجه عن السلطان، الا أن العلماء أفتوا بقتله بطلب من السلطان وذلك بعد مثوله أمام الأخير في هذه السنة، ومن بين العلماء الذين أفتوا بذلك القاضي ناصر الدين بن البارزي^(٥٨)، والقاضي جلال الدين البلقيني^(٥٩)، فتم قتله^(٦٠).

كذلك لم يتأخر العلماء في اصدار فتوى تجيز للسلطان الأشرف قايتباي قتل الأمير شاه سوار بن دلغادر، وذلك بعد تمرد وخروجه عن طاعة السلطان، واستيلائه على مناطق عديدة في بلاد الشام سنة (٨٧٥هـ/١٤٧٠م)، فرغم اقناع المفاوضين للأمير شاه سوار بالاستسلام وقدمه الى مصر، الا أن السلطان أراد أن ينتقم منه فطلب من العلماء منحه فتوى بذلك، فأفتاه العلماء بجواز قتله، متهمين اياه بالخيانة والخروج عن الطاعة^(٦١).

وقد تعرض بعض العلماء لأنواع مختلفة من العقاب جراء موافقتهم أو امتناعهم لإصدار مثل هذه الفتاوى، فقد عاقب الأمير منطاش الشيخ شمس الدين الركاكي^(٦٢) بالضرب والسجن، لأنه لم يوقع على الفتوى التي صدر من قبل بعض العلماء بجواز قتال السلطان برقوق سنة (٧٩١هـ/١٣٨٩م)^(٦٣)، وقد تعامل برقوق بالمثل مع العلماء الذين ساندوا الأميران يلغا ومنطاش ضده، وأفتوا لهما بجواز قتاله، ومنهم القاضي شهاب الدين أحمد الحبال^(٦٤)، فاعتقل وضرب أمام السلطان^(٦٥)، والشيخ شهاب الدين أحمد القرشي^(٦٦) الذي أفتى بوجوب قتال الظاهر برقوق وأدعى: "إن قتال برقوق أوجب من صلاة الجمعة"، فتم اعتقاله وحبسه^(٦٧)، كذلك قبض على الشيخ فتح الدين محمد بن الشهيد^(٦٨) كاتب سر دمشق، الذي أفتى بضرورة محاربة برقوق، وتم قتله^(٦٩).

ونرى أيضا أنه وبمجرد انتصار الناصر فرج بن برقوق على خصمه الأمير شيخ ودخوله دمشق سنة (٨١٢هـ/١٤٠٩م)، حتى بدأ بسلسلة من التصفيات بحق العلماء الذين ساندوا خصمه ومن لهم اليد في إصدار الفتوى ضده، ومن بينهم القاضي شهاب الدين الحسباني، فقد قبض عليه وأودعه السجن، أما الشيخ شمس الدين محمد التباني فقد تمكن من الهرب وترك دمشق^(٧٠)، كذلك اعتقل الناصر فرج كلا من القاضي جمال الدين الحسفاوي^(٧١)، والقاضي الحنفي محب الدين بن الشحنة^(٧٢)، فقد أفتيا أيضا بجواز قتاله^(٧٣).

ولا غرابة أن بعض العلماء والفقهاء قد امتنعوا عن إصدار مثل هذه الفتاوى، وذلك يعود الى مخاوفهم من عاقبة فتواهم، وما يستنتج عنها من تصفية الحسابات الذي يقوم بها المنتصر ضد من ساعد خصمه من العلماء والفقهاء، فقد رفض علماء وقضاة دمشق إصدار فتوى لصالح الأمير نوروز نائب الشام بشرعية خروجه عن طاعة السلطان المؤيد شيخ الحمودي وجواز قتاله، خوفا من عاقبة ذلك، وذلك سنة (٨١٥هـ/١٤١٢م)^(٧٤).

ثالثا: فتاوى الولاية والعزل

لقد ساهم العلماء والفقهاء بفتاواهم أيضا في خلع بعض السلاطين وتعين آخرون مكانهم، وقد ساعدتهم في ذلك أن المماليك لم يؤمنوا بوراثة الحكم^(٧٥)، فكان كرسي السلطنة احدى المناصب المهمة التي لا بد من أخذ موافقة أهل الشرع عليها، فقد وجب على الأمير الذي يطمح في اعتلاء العرش أن يستميل قوة ونفوذ العلماء ليكسب من خلالها تأييد العامة^(٧٦).

فعندما اجتمع الخارجين عن السلطان الناصر فرج بن برقوق وعلى رأسهم الأميران شيخ ونوروز بعلماء وقضاة دمشق وبحضور الخليفة العباسي المستعين بالله (٨٠٨-٨١٥هـ/١٤٠٥-١٤١٢م)، في دار السعادة^(٧٧) سنة (٨١٥هـ/١٤١٢م)، اتفق العلماء على إصدار فتوى بخلع الناصر فرج من السلطنة وإراقة دمه، وكتب الفتوى قاضي قضاة الحنفية ناصر الدين ابن العديم^(٧٨)، ثم وقع عليها العلماء والقضاة الآخرون، وقد ورد في الفتوى تهما موجهة الى الناصر فرج بارتكابه أفعال مشينة، وأنه سفاك للدماء، ويعاقر الخمر،

وغير ذلك من التهم^(٧٩)، فانتهى الأمر بعزله ومن ثم قتله، واستقر رأيهم على تولية الخليفة المستعين السلطنة مكانه^(٨٠).

ولم تدم سلطنة الخليفة المستعين بالله سوى بضعة أشهر حتى جمع الأمير شيخ الحمودي كبار العلماء والقضاة وطلب منهم فتوى بأحقية تولي هذا المنصب، وتحجج بعدم شرعية خليفة يتمسك بمنصب السلطنة أيضاً، فتم له الأمر وأصدروا فتوى بذلك^(٨١).

وكان للمصالح الشخصية لبعض العلماء دوراً مهماً في إصدار فتاوى من هذا النوع، فعندما ثارت فتنة في مصر ضد السلطان الأشرف سيف الدين اينال (٨٥٧-٨٦٥هـ/١٤٥٣-١٤٦١م)، سنة (٨٥٩هـ/١٤٥٤م)، وجه السلطان اينال اتهامه للخليفة العباسي القائم بأمر الله (٨٥٤-٨٥٩هـ/١٤٥٠-١٤٥٤م)، باشتراكه في المؤامرة، مما أغضب ذلك الخليفة وقال: "اشهدوا على أي قد خلعت نفسي من الخلافة، وخلعت السلطان اينال من السلطنة"^(٨٢)، وهنا أنقذ قاضي القضاة علم الدين البلقيني السلطان اينال، وأفتى أمام السلطان والحضور بعدم شرعية خلع الخليفة للسلطان، بحجة أن الخليفة قد بدأ بخلع نفسه أولاً، ففقد بذلك شرعية خلعه للسلطان^(٨٣)، ويعزو سبب افتائه هذا وحسب قول المؤرخ السيوطي أن البلقيني كان حريصاً على نقل الخلافة من القائم إلى أخيه يوسف، كون الأخير زوج لابنته، فتم له المراد وتولى يوسف الخلافة ولقب بالمستنجد بالله (٨٥٩-٨٨٤هـ/١٤٥٤-١٤٧٩م)^(٨٤).

ولم يختص فتاوى العلماء والفقهاء المتعلقة بالتولية والعزل بمنصب السلطنة فحسب، بل تعدى ذلك إلى منصب الخلافة أيضاً، فعندما رفض العلماء منح السلطان الظاهر بروق فتوى بقتل الخليفة المتوكل على الله، وذلك بسبب مشاركة الأخير في مؤامرة ضده دبرها بعض الأمراء الأتراك في مصر سنة (٧٨٥هـ/١٣٨٣م)، اكتفى السلطان بعزل الخليفة فقط^(٨٥)، ولكنه اضطر إلى إعادة الأخير إلى منصبه بمدة قصيرة، وذلك بعدما أصدر العلماء فتوى بعدم شرعية خلع الخليفة من قبل السلطان بروق^(٨٦).

كذلك أقدم السلطان شيخ الحمودي على عزل الخليفة المستعين بالله من منصبه سنة (٨١٥هـ/١٤١٢م)، وذلك بعد أن منحه قاضي قضاة الشافعية الشيخ جلال الدين البلقيني فتوى بذلك، فتم عزله ونصب مكانه أخيه المعتضد بالله (٨١٥-٨٢٤هـ/١٤١٢-١٤٢١م)، ويعزو سبب ذلك وحسب قول المؤرخ السيوطي أنه، "كان في نفسه من المستعين شيء، لكونه عزله، فرتب له دعوى شرعية، وحكم بخلعه من الخلافة"^(٨٧).

وكان لهذه الاجراء ردود فعل قوية في بلاد الشام، فتصدى لها الأمير نوروز الذي كان ينافس السلطان شيخ في السلطة، وأقدم بدوره على استدعاء العلماء والقضاة واستفتاهم بما فعل السلطان شيخ بالخليفة، وطلب منهم اصدار فتوى بعدم شرعية الاجراء، فأفتوه بعدم جواز ذلك، وأجمعوا على معارضته^(٨٨).

وقد انتقم العديد من السلاطين المماليك من العلماء الذين أفتوا بعزلهم، وذلك بعد عودتهم الى السلطة، فقد استدعى السلطان برقوق كلا من القاضي جمال الدين الحسفاوي، ومحب الدين محمد بن الشحنة سنة (٨١٢هـ/١٤٠٩م)، وعاقبهم بسبب فتواهم بعزله، إذ قبض عليهما وأودعا في السجن^(٨٩)، كذلك في سنة (٩٠٦هـ/١٥٠٠م)، أقدم القاضي عبد القادر بن النقيب الشافعي^(٩٠)، بإصدار فتوى بعدم أهلية العادل طومان باي (٩٠٦-٩٢٣هـ/١٥٠٠-١٥١٧م)، لتولي السلطنة، فأثار ذلك حفيظة طومان باي، وانتقم من هذا القاضي بعد أن استتب له السلطنة^(٩١).

الخاتمة

توصلت هذه الدراسة الى بعض النتائج:

- ١- تبين أن سلاطين المماليك في ذلك العصر عملوا على كسب تأيد العلماء ورجال الدين بشتى الوسائل، فرغم أن القرارات السياسية للسلطة كانت نافذة وواجبة التنفيذ، إلا أنهم أدركوا ما للعلماء من سلطان ونفوذ على قلوب الشعب، فحاولوا ارضائهم بهدف توظيف النصوص الدينية خدمة لمآربهم السياسية وذلك من خلال فتاواهم الشرعية.
- ٢- وقد تبين من خلال البحث الدور الهام الذي قام به بعض العلماء والفقهاء في التصدي للأخطار الخارجية التي واجهت الدولة، وذلك من خلال اصدار الفتاوى الشرعية لتذكير الناس بأهمية الجهاد بالمال والنفس، وبذلك أسهموا في تجهيز الجيوش لملاقاة العدو، ورفع الروح المعنوية لعامة الناس.
- ٣- كما أظهرت المواقف المشرفة لبعض العلماء والفقهاء في محاربة الفساد والوقوف في وجه من يحاول التعدي من الحكام على أموال الناس بحجة الجهاد والإنفاق على الجيش، وذلك من خلال رفضهم لإصدار فتاوى شرعية تجيز لهم ذلك، خاصة عندما تعلق الأمر بالتعدي على أموال الأوقاف والأيتام.
- ٤- كما تبين أيضا أن العديد من العلماء والفقهاء قد واجهتهم مشاكل وصعوبات كثيرة بسبب امتناعهم عن اصدار فتاوى في أمور تخالف الشرع أحيانا، أو بسبب اصدارهم فتاوى تعارض ما كانت تصبو اليها السلطة، وقد وصلت الصعوبات الى حد التنكيل بهم والتعذيب، والسجن، والنفي.
- ٥- كما بينت دخول العديد من العلماء والفقهاء في الصراعات الداخلية بين أصحاب السلطة من خلال فتاواهم السياسية، وإسباغ صفة الشرعية على موقف أحدهم ضد خصمه المنافس، ليكسبه تأيد العامة من خلال الفتوى التي تحسم الصراع على كرسي الحكم، وذلك طمعا في الثراء وجمع الأموال، أو اعتلاء المناصب.

هوامش البحث

(١) يرجع أصلهم إلى أيام السلطان المنصور قلاوون، فقد عزم على تكوين فرقة جديدة من المماليك لتسانده في تثبيت حكمه، وقد جلبوا من بلاد الشراكسة، وبعد ازدياد نفوذهم استغلوا ضعف آخر سلاطين المماليك البحرية وكونوا دولتهم سنة (٧٨٤ هـ / ١٣٨٢ م)، واستمرت حتى سقطت بأيدي العثمانيين سنة (٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م)، وسموا بالبرجية أيضا، لأنهم سكنوا الأبراج في القلعة. المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المشهور بـ(خطط المقريزي)، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٩٩٧ م)، ٤٢٠/٣-٤٢٦.

(٢) رزق، علاء طه: دراسات في تاريخ عصر سلاطين المماليك، مطبعة صحوة، (القاهرة: ٢٠٠٨ م)، ص ٥٠.

(٣) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، (بيروت: ١٩٥٦ م)، ١٤٨/١٥؛ الزبيدي، محمد بن محمد مرتضى: تاج العروس في جواهر القاموس، تحقيق، مجموعة من المحققين، دار الهداية، (بيروت: دت)، ٢١٢/٣٩.

(٤) مصطفى، إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، دار الدعوة للنشر، (الأسكندرية: دت)، ٦٧٤/٢.

(٥) رزق: دراسات، ص ٥٠.

(٦) محمد، أحمد عبد الرازق: عوامل انهيار دولة سلاطين المماليك في مصر، مطبعة صحوة، (القاهرة: ٢٠١٦ م)، ص ١٩٥-١٩٦.

(٧) عبد التواب، عبد الرحمن محمود: قايتباي الحمودي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة: ١٩٧٨ م)، ص ١١٨.

(٨) البطاوي، حسن أحمد عبد الجليل: أهل العمارة في مصر عصر سلاطين المماليك، مطبعة صحوة، (القاهرة: ٢٠٠٧ م)، ص ١١٣.

(٩) رزق: دراسات، ص ٥٩.

(١٠) هو تيمور لنك بن ايتمش بن زنكي بن سيبا بن طارم بن قليج بن سنقور، ولد في سنة (٧٢٨هـ/١٣٢٧م)، في إحدى قرى بلاد ما وراء النهر تدعى خواجا، كان سارقا في بداية حياته قاطعا للطرق مع بعض أصدقائه، ثم ما لبث أن أصبح أتابكا لأحد أبناء طقتمش آخر ملوك من نسل جنكيز خان وعظم شأنه واستولى على بلاد كثيرة منها سمرقند وتركستان وبلاد فارس وغيرها، توفي سنة (٨٠٧هـ/١٤٠٤م). ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق، محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة: دت)، ١٠٣/٤؛ ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق، محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، (دمشق: ١٩٨٦م)، ٦٤-٦١.

(١١) قلعة الجبل: تشرف هذه القلعة على مدينة القاهرة، بدأ بإنشائها السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة (٥٧٢هـ/١١٧٦م)، وبوفاته توقف العمل فيها، وعندما تولى الملك كامل بن الملك العادل الأيوبي بدأ العمل فيها من جديد واكتمل بنائها سنة (٦٠٤هـ/١٢٠٧م)، فأصبحت مركزا لبلاط الحكم طيلة حكم الدولتين الأيوبية والمملوكية. المقريزي: خطط، ٣٥٥/٣-٣٦٠.

(١٢) هو الحافظ سراج الدين عمر بن رسلان بن نصير بن شهاب الدين محمد البلقيني الشافعي، شيخ الاسلام، ولد سنة (٧٢٤هـ/١٣٢٣م)، اشتغل بالعلم في صغره، فقد أفتى ولم يكن له من العمر سوى خمس عشرة سنة، تولى وظائف عديدة منها افتاء دار العدل، وقضاء دمشق، ومارس التدريس بمدارس عديدة، له تصانيف عديدة، توفي سنة (٨٠٥هـ/١٤٠٢م). السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار مكتبة الحياة، (بيروت: دت)، ٨٥/٦-٨٧؛ الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة، (بيروت: ١٩٢٩م)، ٥٠٦/١-٥٠٧.

(١٣) العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر: انباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، تحقيق، محمد عبد المعين خان، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٩٨٦م)، ٢/٢٥٨ ؛ ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم: تاريخ ابن الفرات، عني بنشره، قسطنطين زريق، المطبعة الأميركانية، (بيروت: ١٩٣٦م)، مج ٩، ج ١٠/١١ ؛ ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي المصري: بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق، محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة: ١٩٨٢-١٩٨٤م)، ج ١، ق ٢/٣٨٦ .

(١٤) المقرئزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق، محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٩٩٧م)، ٥/١٩٩ ؛ العسقلاني: انباء الغمر، ٢/٢٦١ ؛ ابن إياس: بدائع، ج ١، ق ٢/٣٨٧ .

(١٥) هو قرا يوسف بن قرا محمد بن بيرم خجا التركماني، كان أميراً من التركمان الذين حكموا في بلاد تبريز وبغداد فعظم شأنه حتى استولى على العراق وتبريز وماردين وغيرها، توفي سنة (٨٢٣هـ/ ١٣٢٠م). السخاوي: الضوء اللامع، ٦/٢١٦-٢١٨ .

(١٦) ابن شاهين، زين الدين عبد الباسط بن خليل: نيل الأمل في ذيل الدول، تحقيق، عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، (بيروت: ٢٠٠٢م)، ٤/٢٢ ؛ ابن إياس: بدائع، ٢/٣٩-٤٠ .

(١٧) هو محمد بن ابراهيم بن اسحاق بن ابراهيم السلمي، قاضي القضاة صدر الدين المناوي، ولد بالقاهرة سنة (٧٤٢هـ/ ١٣٤١م)، درس الفقه وأفتى، ثم ولي افتاء دار العدل، ومارس مهنة التدريس بمدارس عديدة، توفي سنة (٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م). ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد: طبقات الشافعية، تحقيق، الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، (بيروت: ١٩٨٦م)، ٤/٤٧-٤٨ ؛ السخاوي: وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، تحقيق، بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، (بيروت: ١٩٩٥م)، ١/٣٥٤ .

(١٨) هو محمد بن محمد بن عبد البر بن يحيى، قاضي القضاة بدر الدين أبو عبد الله أبي البقاء السبكي، ولد سنة (٧٤١هـ/ ١٣٤٠م)، درس وأفتى، وحدث بمصر والشام، ناب عن

والده في القضاء بالقاهرة مدة، ثم تولى مشيخة الحديث بالقبة المنصورية، توفي سنة (٨٠٣هـ/١٤٠٠م). ابن قاضي شهبة: طبقات، ٦٠/٤-٦١؛ العسقلاني: رفع الاصر عن قضاة مصر، تحقيق، علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، (القاهرة: ١٩٩٨م)، ٤١٢/١-٤١٣ (١٩) العسقلاني: انباء الغمر، ١٩٥/٣-١٩٦.

(٢٠) هو زين الدين زكريا بن محمد المصري الشافعي الأنصاري، ولد سنة (٨٢٤هـ/١٤٢١م)، كان متصوفا فطنا، مارس الافتاء والتدريس والقضاء، توفي سنة (٩٢٦هـ/١٥١٩م). ابن اياس: بدائع، ٣٧٠/٥-٣٧١؛ ابن العماد: شذرات: ٤٦٦/١٠ (٢١) ابن شاهين: نيل الأمل، ٢١٧/٨.

(٢٢) هو عبد الغني بن أحمد بن محمد بن أحمد بن علي بن تقي المصري المالكي، ولد سنة (٨٣٠هـ/١٤٢٦م)، حفظ القرآن ودرس الحديث والفقه واللغة العربية، ثم تولى قاضي قضاة المالكية بالقاهرة، توفي سنة (٩٠٧هـ/١٥٠١م). السخاوي: الضوء اللامع، ٢٤٦/٤.

(٢٣) ابن اياس: بدائع، ٢٧٨/٣؛ عبد التواب: قايتباي، ص ١١٩. (٢٤) ابن شاهين: نيل الأمل، ٢١٩/٨. (٢٥) طرخان، ابراهيم علي: مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة: ١٩٦٠م)، ص ٢٥٨.

(٢٦) مرعش: مدينة في الثغور بين الشام وبلاد الروم لها سوران وخندق وفي وسطها حصن. ياقوت الحموي، شهاب الدين عبد الله الرومي: معجم البلدان، دار صادر، (بيروت: ١٩٩٥م)، ١٠٧/٥.

(٢٧) عينتاب: بلدة تقع بين حلب وانطاكية وهي من أعمال حلب. ياقوت الحموي: معجم، ١٧٦/٤.

(٢٨) سيواس: مدينة حصينة بأرض الروم أهلها من المسلمون والنصارى. القزويني، زكريا بن محمد: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، (بيروت: دت)، ص ٥٣٧.

(٢٩) هو الشيخ يوسف بن موسى بن محمد، أبو المحاسن جمال الدين الملطي الحنفي، ولد سنة (٧٢٦هـ/١٣٢٥م)، مارس التدريس وبرع في الفتوى حتى قيل أنه كان يكتب كل يوم أكثر من خمسين فتوى، تولى قضاء الحنفية بمصر، توفي سنة (٨٠٣هـ/١٤٠٠م). السخاوي: الضوء اللامع، ١٠/٣٣٥؛ الحنبلي: شذرات، ٩/٦٤-٦٥؛ الزركلي، خير الدين محمود: الأعلام، دار العلم للملايين، (بيروت: ٢٠٠٢م)، ٨/٢٥٤-٢٥٥.

(٣٠) ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، (القاهرة: دت)، ١٢/٢١٨.

(٣١) المقرئزي: السلوك، ٦/٣٨؛ ابن اياس: بدائع، ج ١، ق ٢/٥٩٤.

(٣٢) هو الخان معين الدين شاه روخ بن تيمور لنك، صاحب هراة وسمرقند وبخارى وممالك اخرى في بلاد ما وراء النهر، توفي سنة (٨٥١هـ/١٤٤٧م). السخاوي: وجيز الكلام، ٢/٦١٩؛ ابن العماد: شذرات، ٩/٣٩٣.

(٣٣) المقرئزي: السلوك، ٧/٣٠١؛ ابن اياس: بدائع، ٢/١٦٦.

(٣٤) ابن تغري بردي: النجوم، ١٥/٦٨.

(٣٥) العسقلاني: انباء الغمر، ٨/٣٧٩؛ السخاوي: الضوء اللامع، ٣/٢٩٢؛ ابن شاهين: نيل الأمل، ٤/٣٩٢.

(٣٦) هو محمد بن سليمان بن ناصر الدين بن دلغادر التركماني، الملقب شاه سوار، تولى نيابة الابلسيتين ومرعش، ثم خرج عن طاعة السلطان الأشرف قايتباي واستولى على بعض مناطق الشام، قبض عليه السلطان وقتله سنة (٨٧٧هـ/١٤٧٢م). السخاوي: الضوء اللامع، ٣/٢٧٤-٢٧٥.

(٣٧) هو يحيى بن محمد بن ابراهيم بن أحمد، أمين الدين الأقصري، ولد بالقاهرة سنة (٧٩٧هـ/١٣٩٧م)، كان شيخا بارعا في الفقه والاصول واللغة، حدث وأفتى، توفي سنة (٨٨٠هـ/١٤٧٥م). السخاوي: الضوء اللامع، ١٠/٢٤٠-٢٤٢.

(٣٨) ابن اياس: بدائع، ٣/١٤.

(٣٩) المصدر نفسه، ٢٦١/٣ .

(٤٠) البطاوي: أهل العمامة، ص ٩٨ .

(٤١) المقرئزي: السلوك، ٤٤/٦ ؛ ابن تغري بردي: النجوم، ٢٢٨/١٢ .

(٤٢) العسقلاني: انباء الغمر، ٣١٦/٧ .

(٤٣) المقرئزي: السلوك، ٤٧٦/٦ ؛ ابن تغري بردي: النجوم، ٦٨/١٤ .

(٤٤) رزق: دراسات، ص ٤٩-٥٠ .

(٤٥) هو الأمير سيف الدين يلغا الناصري، كان من أتباع يلغا الكبير الناصري فنسب اليه كنيته، كان أميراً مقدماً في عهد السلطان الصالح حاجي بن الأشرف، تولى نيابة حلب في عهد السلطان برقوق، ثم تمرد عليه وأعلن العصيان فقبض عليه السلطان وقتله سنة (٧٩٣هـ/١٣٩٠م). العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، تحقيق، محمد عبد المعين خان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، (الدكن: ١٩٧٢م)، ٢١٣-٢١٠/٦ .

(٤٦) ابن تغري بردي: النجوم، ٢٢١/١١ .

(٤٧) المقرئزي: السلوك، ٢٢٣/٥ .

(٤٨) هو الأمير تمر بغا بن عبد الله لقب منطاش الأشرفي نسبة الى الأشرف شعبان لأنه كان من مماليكه، تولى نيابة السلطنة بملطية سنة (٧٨٨هـ/١٣٨٦م)، من قبل السلطان الظاهر برقوق، ثم أعلن عصيانه وانظم الى يلغا الناصري، قبض عليه برقوق ثم قتله سنة (٧٩٥هـ/١٣٩٢م). ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ٩٤/٤-٩٩ .

(٤٩) الكرك: قلعة حصينة تقع في أطراف بلاد الشام بين أيله والبحر الأحمر وبيت المقدس، على رأس جبل عال تحيط بها الأودية من جميع الجهات الا جهة الرض. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٤٥٣/٤ .

(٥٠) العسقلاني: الدرر الكامنة، ٢١٢/٦ ؛ ابن شاهين: نيل الأمل، ٢٧٤/٢-٢٧٥ .

(٥١) ابن تغري بردي: النجوم، ٣٥٩/١١ ؛ ابن اياس: بدائع، ج ١، ق ٤١٧/٢-٤١٨ .

(٥٢) ابن إياس: بدائع، ج ١، ق ٤١٧/٢ .

(٥٣) المصدر نفسه، ج ١، ق ٤١٨/٢ .

(٥٤) هو أحمد بن اسماعيل بن خليفة بن عبد العال، الشيخ شهاب الدين بن عماد الدين الحساباني، ولد سنة (٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، درس منذ صباه علم الفرائض والفقه واللغة العربية، ومارس التدريس بمدارس الأمينية والاقبالية وغيرها، خطب وأفتى، توفي سنة (٨١٥هـ/١٤١٢م). ابن قاضي شهبة: طبقات، ٤/١٠-١١؛ السخاوي: وجيز الكلام، ٤٢١/٢ .

(٥٥) هو محمد بن جلال بن أحمد بن يوسف، شمس الدين ابن الشيخ جلال الدين التباني الحنفي، كان بارعا في اللغة العربية، ومارس مهنة التدريس، اتصل بخدمة الملك المؤيد شيخ وهو نائب الشام فعينه ناضرا للجامع الأموي، توفي بدمشق سنة (٨١٨هـ/١٤١٥م). السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، (بيروت: ٢٠٠٣م)، ١/٧٢؛ ابن العماد: شذرات، ٧/١٣٣-١٣٤ .

(٥٦) المقرئ: السلوك، ٦/٢٢٧ .

(٥٧) هو نوروز الحافظي الظاهري، تولى منصب أمير آخور سنة (٨٠٠هـ/١٣٩٧م)، ثم تولى رأس نوبة، وكان أميرا شجاعا شديد البأس، قتل سنة (٨١٧هـ/١٤١٤م). السخاوي: الضوء، ١٠/٢٠٤-٢٠٥ .

(٥٨) هو محمد بن محمد بن عثمان الحموي الشافعي، ناصر الدين البارزي، ولد سنة (٧٦٩هـ/١٣٦٧م)، كان عالما فاضلا تولى القضاء ثم كاتب سر حلب ومصر، وكان من المقربين جدا من السلطان المؤيد شيخ، وكان فقيها نحويا أديبا شاعرا، توفي سنة (٨٢٣هـ/١٤٢٢م). ابن قاضي شهبة: طبقات، ٤/١٠٦-١٠٧؛ ابن شاهين: نيل، ٤/٦٨ .

(٥٩) هو عبد الرحمن بن عمر بن رسلان بن نصير، قاضي القضاة جلال الدين البلقيني، ولد بالقاهرة سنة (٧٦٢هـ/١٣٦٠م)، كان اماما بارعا في علوم عدة منها الفقه والأصول واللغة والتفسير والمعاني، درس وأفتى، توفي سنة (٨٢٤هـ/١٤٢١م). ابن تغري بردي: المنهل، ١٩٧/٧-٢٠٢ .

(٦٠) العيني، بدر الدين محمد: السيف المهند في سيرة الملك المؤيد شيخ الحمودي، تحقيق، فهميم محمد علوي شلتوت، دار الكتب المصرية، (القاهرة: ١٩٩٨م)، ص ٣٢٦ ؛ ابن تغري بردي: النجوم، ٢١/١٤ .

(٦١) ابن اياس: بدائع، ٧٥/٣ .

(٦٢) هو محمد بن يوسف شمس الدين الركاكي المالكي، من أهل المغرب ثم قدم القاهرة، درس الفقه وأفتى ودرس بمدارس عديدة في مصر، وكان عالما بالأصول، ولاه السلطان برقوق قضاء المالكية، توفي سنة (٧٩٣هـ/١٣٩٠م). السيوطي: رفع الاصر، ٤٣١/١ ؛ ابن العماد: شذرات، ٣٣٠/٦ .

(٦٣) المقرئ: السلوك، ٢٦٥/٥ ؛ ابن تغري بردي: النجوم، ٢٦٢/١١ .

(٦٤) هو أحمد بن محمد بن محمد بن أبي غانم، شهاب الدين الأنصاري الحلبي ، ويعرف بابن الحبال، كان شيخا فاضلا مارس مهنة التدريس وحدث، توفي سنة (٨٢٥هـ/١٤٢١م). السخاوي: الضوء اللامع، ١٦٨/٢ .

(٦٥) المقرئ: السلوك، ٣٠٤/٥ ؛ العسقلاني: انباء، ٦٨/٣ .

(٦٦) هو أحمد بن عمر بن مسلم، قاضي القضاة شهاب الدين أبو العباس القرشي الشافعي، ولد سنة (٧٢٤هـ/١٣٢٣م)، كان اماما عالما فقيها أديبا، درس بمدارس عديدة وأفتى، اعتقله برقوق سنة (٧٩٣هـ/١٣٩٠م)، ومارسوا بحقه أشد أنواع التعذيب الى أن توفي في نفس السنة. ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ٤٥/٢-٤٨ .

(٦٧) العسقلاني: انباء، ٦٨/٣ ؛ ابن تغري بردي: النجوم، ٢٠/١٢ .

(٦٨) هو الشيخ فتح الدين أبو بكر محمد بن إبراهيم بن محمد الشافعي النابلسي، المعروف بابن الشهيد، ولد سنة (٧٢٨هـ/١٣٢٦م)، برع في علوم عديدة منها النظم والنثر والكتابة، مارس مهنة التدريس بمدارس عديدة في الشام منها، الناصرية والجوانية والظاهرية، ثم تولى الخطابة في دمشق، قبض عليه برقوق وقتله سنة (٧٩٣هـ/١٣٩٠م). ابن العماد: شذرات، ٣٢٨/٦-٣٢٩.

(٦٩) ابن اياس: بدائع، ج ١، ق ٤٤٥/٢.

(٧٠) ابن تغري بردي: النجوم، ٧٩/١٣؛ العسقلاني: انباء، ١٤١/٦.

(٧١) هو يوسف بن خالد بن أيوب، القاضي جمال الدين الحسفاوي الشافعي، ولد ونشأ بجلب، درس الفقه وبرع فيها، ولي قضاء ملطية مدة، ثم ولي قضاء حلب ثم طرابلس، ثم تولى كتابة السر بصغد، توفي سنة (٨٢٩هـ/١٤٢٥م). العسقلاني: انباء، ١١٧/٨-١١٨؛ ابن شاهين: نيل، ١٨٧/٤.

(٧٢) هو محب الدين محمد بن محمد الحلبي الحنفي، المعروف بابن الشحنة، كان اماما عالما أديبا، أفتى ودرس بمدارس عديدة بجلب ودمشق والقاهرة، تولى قضاء حلب ثم دمشق ثم القاهرة، توفي سنة (٨١٥هـ/١٤١٢م). ابن تغري بردي: النجوم، ١١٤/١٤.

(٧٣) المقرئ: السلوك، ٢٣٧/٦؛ العسقلاني: انباء، ١٦٤/٦-١٦٥.

(٧٤) المقرئ: السلوك، ٣٤٣/٦.

(٧٥) رزق: دراسات، ص ٥٤.

(٧٦) محمد: عوامل انخيار، ص ١٩٥.

(٧٧) دار السعادة: هذه الدار تقع في دمشق، وكانت مقر نواب السلطنة في العصر المملوكي. محمد كرد علي: خطط الشام، مكتبة النوري، (دمشق: ١٩٨٣م)، ١٣٥/٢.

(٧٨) هو محمد بن عمر بن إبراهيم بن محمد، ناصر الدين بن ابن العديم الحنفي، ولد بجلب سنة (٧٩٢هـ/١٣٨٩م)، ثم قدم القاهرة وهو شاب مع والده، تولى منصب قاضي

القضاة الحنفية، عرف عنه الرشوة، توفي سنة (٨٢٠هـ/١٤١٧م). ابن العماد: شذرات، ١٤٠/٧-١٤١.

(٧٩) ابن اياس: بدائع، ج ١، ق ٨١٩/٢ ؛ المقرئزي: السلوك، ٣٢٥/٦ ؛ علي: خطط، ١٨٤/٢.

(٨٠) ابن اياس: بدائع، ج ١، ق ٨٢٣/٢ ؛ علي: خطط، ١٨٤/٢.

(٨١) المقرئزي: السلوك، ٣٣٩/٦ ؛ العيني: السيف، ص ٣٠٥.

(٨٢) ابن اياس: بدائع، ٣٢٨/٢.

(٨٣) ابن اياس: بدائع، ٣٢٨/٢ ؛ محمد: عوامل، ص ١٩٧.

(٨٤) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق، محمد أبو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، (القاهرة: ١٩٦٧م)، ٩١/٢.

(٨٥) المقرئزي: السلوك، ١٥٢/٥ ؛ ابن تغري بردي: النجوم، ٢٣٤/١١.

(٨٦) ابن شاهين: نيل الأمل، ٢٨١/٢ ؛ ابن اياس: بدائع، ج ١، ق ٤١٧/٢-٤١٨.

(٨٧) حسن المحاضرة، ٨٩/٢.

(٨٨) السخاوي: وجيز الكلام، ٤٢١/٢.

(٨٩) المقرئزي: السلوك، ٢٣٧/٦ ؛ العسقلاني: انباء، ١٦٤-١٦٥.

(٩٠) هو عبد القادر بن النقيب محي الدين المصري الشافعي، كان شيخا متواضعا، تولى مشيخة الخانقاه الصلاحية، ومارس مهنة التدريس في المدرسة الظاهرية، تولى قضاء مصر

عدة مرات، توفي سنة (٩٢٢هـ/١٥١٦م). الغزي، نجم الدين محمد بن محمد: الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، تحقيق، خليل منصور، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٩٩٧م)،

٢٥٤/١.

(٩١) ابن اياس: بدائع، ٤٥٤/٣.

قائمة المصادر والمراجع: المصادر

ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي المصري (ت ٩٣٠ هـ / ١٥٢٣ م)

١- بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق، محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب،
(القاهرة: ١٩٨٢-١٩٨٤ م).

ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م)

٢- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق، محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة
للكتاب، (القاهرة: ١٩٨٤ م).

٣- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر،
(القاهرة: دت).

الزبيدي، محمد بن محمد مرتضى (ت ١٢٠٥ هـ / ١٧٩٠ م)

٤- تاج العروس في جواهر القاموس، تحقيق، مجموعة من المحققين، دار الهداية، (بيروت: دت).

السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد
(ت ٩٠٢ هـ / ١٤٩٦ م)

٥- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار مكتبة الحياة، (بيروت: دت).

٦- وجيز الكلام في الذيل على دول الاسلام، تحقيق، بشار عواد معروف وآخرون، مؤسسة
الرسالة، (بيروت: ١٩٩٥ م).

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م)

٧- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة
العصرية، (بيروت: ٢٠٠٣ م).

٨- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار احياء
الكتب العربية، (القاهرة: ١٩٦٧ م).

ابن شاهين، زين الدين عبد الباسط بن خليل، (ت ٩٢٠هـ/١٥١٤م)

٩- نيل الأمل في ذيل الدول، تحقيق، عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، (بيروت: ٢٠٠٢م).

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (ت ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م)

١٠- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة، (بيروت: ١٩٢٩م).

العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)

١١- أنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، تحقيق، محمد عبد المعين خان، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٩٨٦م).

١٢- الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، تحقيق، محمد عبد المعين خان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، (الدكن: ١٩٧٢م).

١٣- رفع الاصر عن قضاة مصر، تحقيق، علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، (القاهرة: ١٩٩٨م).

ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)

١٤- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق، محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، (دمشق: ١٩٨٦م).

العيني، بدر الدين بن محمد (ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م)

١٥- السيف المهند في سيرة الملك المؤيد شيخ الحمودي، تحقيق، فهم محمد علوي، دار الكتب المصرية، (القاهرة: ١٩٩٨م).

الغزي، نجم الدين محمد بن محمد (ت ١٠٦١هـ/١٦٥٠م)

١٦- الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، تحقيق، خليل منصور، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٩٩٧م).

ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (ت ٨٠٧هـ/١٤٠٤م)

١٧- تاريخ ابن الفرات، عني بنشره، قسطنطين زريق، المطبعة الاميركانية، (بيروت: ١٩٣٦م).

ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد (ت ٨٥١هـ/ ١٤٤٧م)

١٨- طبقات الشافعية، تحقيق، الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، (بيروت: ١٩٨٦م).

القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م)

١٩- آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، (بيروت: دت).

المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)

٢٠- السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق، محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٩٩٧م).

٢١- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئية، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٩٩٧م).

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م)

٢٢- لسان العرب، دار صادر، (بيروت: ١٩٥٦م).

ياقوت الحموي، شهاب الدين عبد الله الرومي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)

٢٣- معجم البلدان، دار صادر، (بيروت: ١٩٩٥م).

البطاوي، حسن أحمد عبد الجليل:

٢٤- أهل العمارة في مصر عصر سلاطين المماليك، مطبعة صحوة، (القاهرة: ٢٠٠٧م).
رزق، علاء طه:

٢٥- دراسات في تاريخ عصر سلاطين المماليك، مطبعة صحوة، (القاهرة: ٢٠٠٨م).

الزركلي، خير الدين محمود:

٢٦- الأعلام، دار العلم للملايين، (بيروت: ٢٠٠٢م).

طرخان، ابراهيم علي:

٢٧- مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة: ١٩٦٠م).

عبد التواب، عبد الرحمن محمود:

٢٨ - قايتباي المحمودي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة: ١٩٧٨ م).

محمد، أحمد عبد الرازق:

٢٩ - عوامل انهيار دولة سلاطين المماليك في مصر، مطبعة صحوة، (القاهرة: ١٩١٦ م).

علي، محمد كرد

٣٠ - خطط الشام، مكتبة النوري، (دمشق: ١٩٨٣ م).

مصطفى، ابراهيم وآخرون:

٣١ - المعجم الوسيط، دار الدعوة للنشر، (الأسكندرية: دت).

كلية التربية للعلوم الانسانية

